

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل) ملخص أم مجدد الالتفات نموذجاً

د. د. إسماعيل رفعت إسماعيل السوداني*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهم إلى يوم الدين، وبعد....

يأتي هذا البحث بعنوان: البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل) ملخص أم مجدد؟ "الالتفات نموذجاً" حاولت - قدر استطاعتي - الإجابة عن سؤال مفاده، هل البيضاوي ملخص لكتاب الكشاف للزمخشري، أم كان صاحب منهج جديد، وفكر فريد؟ والسبب الرئيس وراء اختيار هذا الموضوع ما أطلعت عليه عند أفاضل العلماء، من تركيزهم على أن البيضاوي كان عمله الأول هو تلخيص كتاب الكشاف، يقول صاحب كشف الظنون عن أنوار التنزيل: "وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب، والمعاني، والبيان..." (١).

* د. إسماعيل رفعت إسماعيل السوداني أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة الجوف باحث دراسات عليا بجامعة الأزهر الشريف

(١) ينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١/١٨٦: ١٨٨ - مكتبة المثنى - بغداد، ط: ١٩٤١م، و، الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٢٩٧، ٣٠٣ ط: مكتبة وهبة، القاهرة.

ويقول السيوطي في حاشيته على تفسير البيضاوي: " إن القاضي ناصر الدين البيضاوي لخص هذا الكتاب (أي الكشف) فأجاد، وأتى بكل مستجد... " (١).
ويقول الذهبي معلقاً على كلام البيضاوي: " كَأَنِّي به في هذه الجملة الأخيرة يشير إلى أنه اختصر من تفسير الكشف، ولخص منه... " (٢).

ومن هنا يأتي هذا البحث لِيُمِيط اللثام عن هذا الأمر، ومن ثم الإجابة عن التساؤل الذي يطرحه البحث، من خلال تحليل لنماذج من النظم الكريم عن الالتفات، واختيار أسلوب الالتفات نموذجاً للدراسة؛ لأنه يحتاج إلى أعمال فكر، وكدٍّ خاطر؛ لبيان وجه المناسبة الحقيقية وراء العدول من أسلوب إلى أسلوب آخر؛ ولذا تحدث عنه العلوي ضمن شجاعة العربية.

وقد أسلمني تحقيق هذا الهدف، أن أعتمد منهجاً وصفيّاً تحليليّاً يقوم على رصد أسلوب الالتفات في تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي، واستقراء النصوص في سياقاتها المختلفة من أجل تحديد أبعاد هذا المصطلح في تفسيره، ووصفه وصفاً دقيقاً؛ يمهّد لتحليله في إطار الموازنة بينه وبين الزمخشري، وصولاً إلى النتائج بمنهجية ووضوح.
وقمت بتقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وثبت للمراجع، وجدول لمواطن الالتفات في أسرار التنزيل، وفهرس للموضوعات.

- المقدمة: تحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع، وخطته.
- التمهيد: تحدثت فيه عن أمرين: المؤلّف والمؤلّف، ومدخل لبلاغة الالتفات عند البيضاوي.

(١) ينظر: الذهبي: التفسير والمفسرون ٣٠١/١، ٣٠٢.

(٢) ينظر: الذهبي: التفسير والمفسرون ٣٠١/١.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم مجدّد (الالتفات نموذجاً)

- المبحث الأول: التعبير بالعدول، والتلوين.
- المبحث الثاني: التعبير بالالتفات.
- الخاتمة: ذكرت فيها أهم نتائج البحث، وأهم التوصيات.
- جدول لمواضع الالتفات في تفسير البيضاوي، ولا أدعي الكمال فيه، بل ربما يتسع الوقت مرة أخرى، لأضع فهرساً تفصيلياً من خلال استقراء شامل لتفسيره.
- وختمت البحث بثبت للمراجع، وفهرس للموضوعات.
- والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يغفر تقصيري، ويعفو عن زلاتي، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

تمهيد

المؤلف، والمؤلف

المؤلف: القاضي الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، من بيضاء بفارس، ولها نسب، ولم ينسب لها سواه، مما يدل على عظيم شرفه، وعلو منزلته، وذويوع صيته، توفي سنة ٦٨٥هـ، وقيل ٦٩١هـ، والأول رأي الأغلبية. تلقى عن أبيه الفقه، يقول عنه السيوطي: "كان إماماً علامة عارفاً بالفقه، والتفسير... والعربية، والمنطق نظاراً صالحاً، متعبداً، شافعيّاً".

المؤلف: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جعله صاحب التفسير والمفسرون، من أهم مؤلفات البيضاوي، مع كتاب المنهاج وشرحه في أصول الفقه، وكتاب الطوابع في أصول الدين، وللبیضاوي مؤلفات كثيرة في فنون العلوم، تدلُّ على اتساع علمه، وإحاطته بشتى أنواع العلوم، والمعارف، حتى استحق الإشادة والتثناء من كثير من أفاضل العلماء.

ولأهمية تفسيره نجد العناية العظمى، والاهتمام البالغ بهذا الكتاب فقام كثير من العلماء بتحشيته كاملاً، أو بتحشية جزء منه، حتى صار موسوعة علمية ضخمة، وذخيرة لا تُعدُّ موادها، ومن أهم الحواشي التي تعنى بالجانب البلاغي عناية فائقة، حاشية الشهاب الخفاجي، وحاشية شيخ زادة، وحاشية القنوي^(١).

منهج البيضاوي في الالتفات

أولاً: التعريف بالالتفات

تدور مادة لفت في المعاجم العربية حول محور دلالي واحد هو التحول، أو الانحراف عن المؤلف من القيم أو الأوضاع، أو أنماط السلوك^(٢).

وأول من أطلق عليه هذه التسمية هو الأصمعي، فقد روي أنه سأل بعض من كان يتحدث إليهم، فقال له: أتعرف التفاتات جرير؟، فأجاب لا، فما هي؟، قال:
أَتَسَى إِذْ تُودَّعُنَا سَلِيمَى بَعُودِ بَشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامَ
ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفت إلى البشام فدعا له^(٣).

(١) ينظر: الميوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٥٠/٢، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، وحاجي خليفة: كشف الظنون ١٨٦/١، وابن كثير: البداية والنهاية ١٢٨/١٢، ت: علي شيري ط: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨، وشداد: الإمام البيضاوي ومنهجه في التفسير، حسن محمد شداد ورقة رقم (١٠٣) مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة للدكتور حسن محمد شداد، الذهبي: التفسير والمفسرون ٢٩٧/١، ٣٠٣.

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (لفت) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، والزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس - ت: مجموعة من المحققين - دار الهداية.

(٣) ينظر: العسكري: الصناعتين ٣١١ - ط: الحلبي ١٩٧١م.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم محمد (الالتفات نموذجاً)

وللعلماء فيه مذاهب فيذكر ابن المعتز أن الالتفات يرد على نوعين: نوع ينصرف فيه المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى مخاطبة، وما يشبه ذلك...، ونوع ينصرف فيه المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر.

وقد أهمل البلاغيون النوع الثاني، وفصلوا القول في النوع الأول، واشتهر في تحديد مفهومه رأيان، رأي السكاكي، ورأي الجمهور.

رأي جمهور البلاغيين: الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم، والخطاب، والغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.

رأي السكاكي: يرى أنه التعبير بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيرها، إذ يرى في نحو قول ربعة:

بانت سعاد فأمسى القلب معموداً وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا

اللتفاتات، حيث كان مقتضى الظاهر أن يقول: وأخلفتني، فالتفت إلى الخطاب، وقال: وأخلفتك، فكل التفتات عند الجمهور التفتات عند السكاكي، وليس العكس⁽¹⁾

ثانياً: منهج البيضاوي في الالتفات

الذي يظهر من خلال استقراء شامل لنماذج الالتفات في أنوار التنزيل، أن البيضاوي اعتمد مذهب الجمهور، وقصر الالتفات على الانتقال بين الضمائر، ولكنه يعبر عنه بالعدول والتلوين والانتقال تارة، ويعبر عنه بالالتفات تارة أخرى.

(1) ينظر: الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة ٣٦٤، ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٥٨م، والسكاكي: مفتاح العلوم

١٨٠، ١٨١، ط: دار الكتب العلمية بيروت، والعلوي: الطراز ١٠٥/٣، ١٠٤ - ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م،

وبسيموني فيود: علم المعاني ٢٥٣ - ٢٦٣، ط: مؤسسة المختار - الثالثة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

كما اهتم البيضاوي بذكر السر الخاص للالتفات، في عبارة محكمة وجيزة، مع البعد عن ضرب الأمثلة وكثرة الاستشهاد، مع الاهتمام بذكر الالتفات في القراءات القرآنية.

المبحث الأول: التعبير بالعدول والتلوين

إن التعبير بالعدول، أو التلوين من المصطلحات المرادفة للالتفات عند البيضاوي، ولكن يقرن مصطلح العدول عنده بالخطاب، إما أن يعدل عنه، أو إليه، ولذا يقول القانوني في بيان قول المصنف: وإنما عدل عن الخطاب، أي التفت عنه إذ عبر عنه أولاً بلفظ الخطاب^(١)، وكأن الأصل في الحديث أن يكون مواجهة عن طريق الخطاب، وحين ينتقل الإنسان عنه يكون عدل عن هذا الأصل، والعدول معنى أوسع يدخل فيه الالتفات، وغيره.

وتلوين الخطاب - أيضاً - أعم من الالتفات، والذي يظهر أن كلمة التلوين بمعنى تغيير هيئة الخطاب وصورته إلى الغيبة: هي وصف لغرض عام من أغراض الالتفات.

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [سورة الفاتحة الآيات ١ - ٥]

(١) ينظر: عصام الدين: حاشية القانوني على تفسير الإمام البيضاوي ٢١٣/٧، ت عبد الله محمود محمد عمر، ط دار

الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم محمد (الالتفات نموذجاً)

بيان الالتفات: التفت من الغيبة في قوله: "مالك" إلى الخطاب في قوله: "إياك نعبد"، وكان مقتضى الظاهر أن يأتي النظم الكريم على طريق الغيبة: إياه نعبد. في البداية لابد من ذكر نص العلامة البيضاوي هنا ؛ ليكون محط الانطلاق إلى بيان مراده ومعرفة مكنون فكره.

يقول البيضاوي: " ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك، أي: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ؛ ليكون أدل على الاختصاص، وللترقى من البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً، بنى أول الكلام على ما هو مباني حال العارف من الذكر، والفكر، والتأمل في أسمائه، والنظر في آلائه والاستدلال بصنائه على عظيم شأنه، وباهر سلطانه، ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة، فيراه عياناً، ويناجيه شفاهاً.

اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للأثر. ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع، فيعدل من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس، كقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَيْنَ بِهِمْ) [سورة يونس الآية ٢٢] ، وقوله: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُمْ) [سورة فاطر آية ٩]، وقول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالإثم... ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة... كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءني... وخبرته عن أبي الأسود"^(١).

ولي مع كلام البيضاوي عدة وقفات:

أولاً: عدم ذكره مصطلح الالتفات صراحة، وإن أشار إليه ضمناً، فأثبت لفظ الانتقال، ولفظ العدول، وحين أراد أن يثبت كلام الزمخشري عن الالتفات في الآية الكريمة، أغفل ذكر كلمة الالتفات التي أثبتها الزمخشري بقوله: "فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان"^(٢)

إن كان البيضاوي يعتبر المصطلحين بمعنى واحد فيسميه مرة بالعدول وأخرى بالالتفات، ولذا أثبت عبارة الزمخشري عن بلاغة الالتفات عموماً والتي ينص فيها على العدول، وغفل عن ذكر ما سبقها والتي ينص فيها على الالتفات.

ثانياً: عدم ذكره السر العام للالتفات أولاً، ثم ذكر السر الخاص، بل عكس الأمر، فذكر الخاص ثم العام، مخالفاً بذلك الزمخشري، على الرغم من أن هذا الموضع هو الأول في النظم الكريم، ولقد كان الزمخشري أكثر حصافة ودقة، فبدأ أولاً بالسر العام من وراء بلاغة الالتفات، فقال: "فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم

(1) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت مجدي فتحي، ويأسر أبو شادي ١٤/١٥، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

(2) ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت محمد السعيد محمد ١/٣٤، ط المكتبة التوفيقية، الأولى، القاهرة، ٢٠١٢م.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم محمد (الالتفات نموذجاً)

البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم... وذلك على عادة افتتانهم في الكلام...^(١).

ثم أتبعه بذكر السر الخاص بقوله: "وقد تختص مواقعه بفوائد. ومما اختص به هذا الموضوع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخطوب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه؛ ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا به"^(٢) مما يحدث نوعاً من التشويق؛ للإيضاح بعد الإبهام، والتخصيص بعد التعميم.

فالبيضاوي عرض وناقش الآية دون توضيح، بل ذكر السر ضمناً، وكأنه يذكر مناسبة الآية لما قبلها، فيقول: "ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد، ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خطوب بذلك".

ولقد التمس شيخ زادة توجيهاً لتقديم السر الخاص على السر العام، بعد أن بيّن أن الظاهر والأصل أن تقدم الفائدة العامة على الفائدة الخاصة، فقال: "ولعله إنما ترك ذلك الترتيب، إما لزيادة اشتماله بالفائدة الخاصة، أو لاقتضاء الفائدة العامة إفادة البسط، والإطناب"^(٣).

(1) ينظر: الزمخشري: الكشاف ٣٤/١.

(2) ينظر: الزمخشري: الكشاف ٣٤/١، ٣٥.

(3) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣٩/١، ط مكتبة الحقيقة، تركيا ١٩٩٨م.

ويقدم الشهاب الخفاجي مناسبة أخرى لتقديم الفائدة الخاصة على العامة وهي شدة الارتباط، والاهتمام، فيقول: "قدم المصنف - رحمه الله - نكتة الالتفات الخاصة بهذا المقام لشدة ارتباطها بتفسيره، وللاهتمام بها"⁽¹⁾.

ثالثاً: دمج البيضاوي بلاغة الالتفات في بلاغة القصر، وكأنهما شيء واحد، وأرى أن هذا الدمج يحمده، لأن الالتفات يقوي القصر، وهو ما يؤكد فكرة النظم، التي يحاول تطبيقها في تفسيره.

رابعاً: أورد الشيخ البيضاوي كلام الزمخشري عن بلاغة الالتفات بوجه عام دون تعليق، أو توضيح، أو ربط فقال بعد أن انتهى من بيان سر الالتفات الخاص: "ومن عادة العرب التفتن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر..." وكأن الكلام أسقط وأودع دون توظيف، أو إشارة إلى مصطلح.

خامساً: لقد أجاد البيضاوي وفتح فتحة جديدة في بيان سر الالتفات، فيتضح من كلامه أن سر الالتفات يرجع إلى فائدتين:

الفائدة الأولى: أنه أدل على اختصاص العبادة، والاستعانة به - تعالى - ، فقله: "أدل" تعبير دقيق، فإنه لو قيل: إياه نعبد، وإياه نستعين ؛ لأفاد الاختصاص من مجرد تقديم ما حقه التأخير، فإنه موضوع لإفادة الاختصاص عرفاً، والالتفات إلى الخطاب يؤكد المعنى المستفاد من التقديم، ويقويه، فيكون الالتفات مع التقديم أدل عليه من مجرد التقديم، وذلك يتضمن الإشارة إلى أن الحمد ينبغي أن يكون على وجه يوجب ترقى الحامد من حضيض الحجاب، والغيبة إلى ذروة قرب المشاهدة، والحضور،

(1) ينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على

تفسير البيضاوي ١١٢/١، ط دار صادر - بيروت.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل) ملخص أم مجدّد (الالتفات نموذجاً)

وإلى أن العبادة والاستعانة لا بد وأن يكونا في مقام الإحسان، وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، ويخاطبه.

الفائدة الثانية: وهي الترقّي - لم يتعرض لها الزمخشري - ، والتي أشار إليها البيضاوي بقوله: "وللترقي من البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً..." أي انتقل إلى طريق الخطاب ؛ لكونه أدل على اختصاص العبادة، والاستعانة به - تعالى - ، وعلى الترقّي من علم الحقيق بالحمد بطريق الدليل والبرهان إلى علمه بطريق المشاهدة، والعيان، بمعنى زيادة طريق الخطاب على طريق الغيبة في الدلالة على الاختصاص، ولو جاء الكلام على مقتضى الظاهر: إياه نعبد وإياه نستعين، ولم ينتقل إلى طريق الخطاب ؛ لخلا الكلام من الترقّي من البرهان إلى العيان^(١).

سادساً: لنا هنا وقفة مع قول البيضاوي: "ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة، فيراه عياناً، ويناجيه شفاهاً اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للأثر".

هذا الكلام ربما يطرح سؤالاً مفاده، هل يجوز رؤية الله - تعالى - ؟
فعبارة البيضاوي: "فيراه عياناً، ويناجيه شفاهاً" يفهم من ظاهرها جواز رؤية الله لمن تحقق، ورسخ في قلبه هذه الصفات، ويجب على ذلك من وجهين:
أولهما: أن البيضاوي قبل هذه العبارة ذكر لفظ "كأن" التي تفيد التقريب، لا تحقق الوقوع كاملاً، فقال: " فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة

(١) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣٩/١ بتصرف.

حضوراً" فحمل أول الكلام على آخره، فيكون المراد فكأنه يراه عياناً، وكأنه يناجيه شفاهاً.

ثانيهما: ليس المراد من الشهود والمعينة رؤية الحقيق بالحمد بالبصر، وهو ظاهر، قال - عليه السلام - : إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت، بل المراد به حالة تحصل للعبد عند رسوخه في كمال الإعراض عما سواه - تعالى - ، وتمايم توجهه إلى حضرته، بحيث لا يكون في لسانه، وقلبه، وهمه، وسره، وجهره غيره، وأشار إليه من قال:

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب^(١)

ويؤكد الشهاب أن ليس المراد بالشهود الرؤية الحقيقية ؛ لعدم وقوعها، بل التوجه التام لحضرة القدس، والإعراض عما سواه، فالعبد يخاطب الله في دعائه حقيقة ؛ لسماعه دعاءنا، وهذا سر حديث الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، وكما قال الشاعر:

وإني لأرجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع

فلا يشترط في الخطاب إلا السماع لا المشاهدة، والعيان، وإلا يلزم ألا يخاطب الأعمى حقيقة، ولا من هو خارج الدار من في داخلها، وهو ما لم يقل به أحد^(٢).

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ

فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) [سورة النساء الآية ٦٤]

(1) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣٩/١ بتصرف.

(2) ينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١١٠/١، ١١١.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل) ملخص أم مجدّد (الالتفات نموذجاً)

توضيح الالتفات: في الآية الكريمة الالتفات من الخطاب في قوله تعالى: "جاءوك" إلى الاسم الظاهر: "الرسول"، وكان مقتضى الظاهر أن يأتي انظم الكريم "واستغفرت لهم".

بداية نذكر نص الزمخشري، ونص البيضاوي؛ لتعم الفائدة:

يقول الزمخشري: "ولم يقل: واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات، تفخيماً لشأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتعظيماً لاستغفاره، وتبهيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان"^(١).

ويقول البيضاوي: "وإنما عدل الخطاب تفخيماً لشأنه وتبهيها على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له، ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب"^(٢).

مما سبق نلاحظ:

أولاً: تحديداً لمصطلح الالتفات عند الزمخشري إذ يقول: "وعدل عنه إلى طريقة الالتفات"، والتعبير عنه عند البيضاوي بالعدول: "وإنما عدل الخطاب"، كما نلاحظ أن الزمخشري كان دقيقاً حين ذكر الأصل الذي كان ينبغي أن يأتي عليه الكلام، وهو: "واستغفرت"، ولذا فسر الشهاب قول البيضاوي: "وإنما عدل عن الخطاب، أي لم يقل واستغفرت لهم"^(٣)، وقال القونوي: "وإنما عدل عن الخطاب: أي التفت عنه إذ عبر عنه أولاً بالخطاب"^(٤).

(١) ينظر: الزمخشري: الكشاف ٤٥٠/١.

(٢) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ٢٨٤/١.

(٣) ينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٥١/٣.

(٤) ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي: حاشية القونوي ٢١٣/٧.

ثانياً: ترجع بلاغة الالتفات عند الزمخشري إلى ثلاثة أمور: تفخيم شأن الرسول، وتعظيم الاستغفار، والتبنيه على شفاعته ﷺ، بينما ترجع بلاغة الالتفات عند البيضاوي إلى أمرين: تفخيم شأن الرسول، والتبنيه على شفاعته ﷺ، فأغفل النكته الثانية، وهي تعظيم الاستغفار، وأن هذا الاستغفار مخالف لاستغفارهم ؛ لأنه من مصدر الرسالة، وهو الرسول ﷺ، وإن كانت عبارته: "وتبنيها على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له، ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب" تفهم عرضاً بيان عظم هذا الاستغفار، ويذكر القونوي مناسبة لفظية للالتفات بقوله: "ولم يقل واستغفرت لهم ؛ لأن القياس يقتضي هذا لقولك جاؤوك تفخيماً لشأنه"⁽¹⁾.

ولقد أغفل الزمخشري، والبيضاوي ذكر الالتفات في أول الآية، من التكلم في قوله: "وما أرسلنا " إلى الغيبة في قوله: "بإذن الله" وكان مقتضى الظاهر أن يأتي النظم الكريم "بإذني" فذكر لفظ الجلالة يؤكد طاعة الرسول، وفيه تعظيم لهذه الطاعة، وشمول نفعها ؛ لكونها من مصدر الإلهية الأعظم.

ومما يجب التبنيه إليه أن البيضاوي ذكر مسألة خلافية كان في غنى عن ذكرها، وهي إقراره بشفاعة النبي ﷺ في كبائر الذنوب، وهي ما ابتعد عنها الزمخشري، وأرجع علمها إلى الله - تعالى - بقوله: "وتبنيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان" فقوله: من الله بمكان تعبير دقيق يرجع علمها ومآلها إلى الله عز وجل، إن شاء قبل الشفاعته في الكبائر وإلا فلا.

(1) ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي: حاشية القونوي ٢١٣/٧.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم مجدو (الالتفات نموذجاً)

وتبع الزمخشري في ذلك أبو السعود بقوله: "وتبنيها على أن شفاعته في حيز القبول" (١).

والتمس القنوي تفسيراً لكلمة كبائر الذنوب بقوله: "وإن عظم جرمه كانفاق، والتحاكم إلى الطاغوت" (٢).

فالشفاعة مسألة غيبية يرجع علمها إلى الله، وترك الحديث عنها طمعا في رحمة الله، وعظيم فضله في شمول شفاعته ﷺ، لجميع الأمور.

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُجِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [سورة يونس آية ٢٢]

بيان الالتفات: في الآية التفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة في قوله: "وجرين بهم"، والأصل (وجرين بكم)، وضمائر الغيبة تعود على المخاطبين في قوله: (وكنتم) وهم الكائنون في الفلك (٣).

(1) ينظر: أبو السعود: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٩٧/٢ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(2) ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي: حاشية القنوي ٢١٣/٧.

(3) ينظر: صبرة: مرجع الضمير في القرآن الكريم ص ٣٠٣ دار غريب ٢٠٠١ م.

عندما يذكر الالتفات يذكر قوله تعالى: "حتى إذا كنتم في الفلك..." شاهداً ومثالاً على الالتفات ولعل السر في ذلك هو وضوح الالتفات وسره الخاص من وراء هذا العدول، ولقد أوجز الزمخشري والبيضاوي في بيان هذا السر في كلمات موجزة نثبتها أولاً.

يقول الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح"^(١).

ويقول البيضاوي: "عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم"^(٢).

والذي يظهر من أول الأمر أن الزمخشري، والبيضاوي عدلا عن ذكر لفظ الالتفات صراحة، فعبّر عنه الزمخشري بالصرف وإن أشار إليه سابقا، وعبّر عنه البيضاوي بالعدول.

وأرجع البيضاوي سر الالتفات إلى المبالغة في التعجب من حالهم، والإنكار عليهم، بينما أغفل فائدة أخرى وهي التقبيح، وهو ما أثبتته شراح الحواشي فقال شيخ زادة: "والالتفات في (بهم) للمبالغة، والتقبيح"^(٣).

ويقول الشهاب: "التفات للمبالغة في تقبيح حالهم، كأنه أعرض عن خطابه وحكى لغيرهم سوء صنيعهم"^(٤).

(١) ينظر: الزمخشري: الكشاف ٣٢٨/٢.

(٢) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ٥٥١/١.

(٣) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ١٠/٣.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم محمد (الالتفات نموذجاً) =====

وما ذكره الشهاب الخفاجي هنا يضيف لنا سرّاً خاصاً لفائدة العدول عن الخطاب، وهو الإعراض عن خطابهم لعدم لياقتهم بعز الخطاب ؛ لأنهم رجس، وكأنهم بهذه الفعل لا يستحقون خطاب الله - تعالى - ، فإن اعترض بأن الخطاب قد يأتي لزيادة التهديد والإنكار كما في قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...) [سورة البقرة الآية ٢٨] ، يجاب على ذلك بأن الخطاب هنا خطاب تشريف والسياق للرحمة، والتسيير الهنيئ في البر والبحر، فحين أعرضوا أعرض الله عنهم، "وأنه عند ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين فلما تهيأ للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: "وجرين بهم" فأخرج من الخبر من عدا الذين يبيعون في الأرض بغير الحق تعويلاً على القرينة" (٢).

والشيخ الطاهر يذكر أنه أول من ذكر هذه الفائدة التي أثبتتها للالتفات، والواقع أن أبا حيان سابق له، حيث يقول "والذي يظهر - والله أعلم - أن حكمة الالتفات هنا هي أن قوله: "هو الذي يسيركم في البر والبحر" خطاب فيه امتتان وإظهار نعمة للمخاطبين، والمسировون في البر والبحر مؤمنون وكافرون، والخطاب شامل، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع، فلما ذكرت حالة آل الأمر في آخرها إلى أن الملتبس بها هو باغ في الأرض بغير

(1) ينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٨/٥.

(2) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتوير ١١، ١٣٥.

الحق، عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي^(١).

فالشيخ الطاهر يذكر أن هذا ضرب من الالتفات لم ينبه عليه أهل المعاني ؛ لأن جميع من قبله جعل ضمائر الخطاب والغيبة جميعها للمشركين^(٢)، وهو مسبوق بهذا كما تقرر بما نقلته عن أبي حيان.

وعلى الرغم من ذلك فإن قول الطاهر في توجيه الالتفات بما ذكره: " فلما تهيأ للانتقال إلى ذكر الضراء " تعبير دقيق ؛ لأن الضر في الآية لما يبدأ بقوله: "وجرين بهم" لأن جرى الفلك بالريح الطيبة لا يعد ضرّاً، بل هو من أعظم منافع من يسير في البحر، ولذلك عبر الطاهر بالتهيؤ، ثم علل ابتداء الإتيان بضمير الغيبة من هذه الجملة بالذات بأنه " للتصريح بأن النعمة شملتهم، وللإشارة إلى أن مجيء العاصفة فجأة في حال الفرح مراد منه ابتلاؤهم وتخويفهم"^(٣).

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

[سورة آل عمران آية ٩]

بيان الالتفات: الالتفات من الخطاب في قوله: "إنك جامع الناس" إلى الاسم الظاهر: "إن الله لا يخلف الميعاد".

(1) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي دار الفكر - طبعة ثانية ١٩٨٣م وعلى هامشه النهر الماد من البحر ٥ / ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩.

(2) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ١١/ ١٣٦.

(3) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ١١/ ١٣٦.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم مجدّد (الالتفات نموذجاً)

يقول البيضاوي: "إن الله لا يخلف الميعاد فإن الإلهية تتأفیه وللإشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب"^(١).

لم يرتض البيضاوي ذكر لفظ الالتفات في هذا الموطن، بل قال: لون الخطاب، ويبدو أن هذه العبارة وصف للالتفات، فهو يلون الخطاب أي يغيره من حال إلى حال، وهو هنا غير الكلام من الخطاب إلى الغيبة، وهو لفظ الجلالة، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: إنك لا تخلف الميعاد، "والتلوين أعم من الالتفات"^(٢).

ولعل البيضاوي يقصد إلى بيان غرض عام للالتفات، وهو تلوين الخطاب، أي تغييره من حال إلى حال، وهو ما يفهم من قول الزمخشري عند حديثه عن بلاغة الالتفات بوجه عام: "وذلك على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه؛ ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"^(٣).

ويحسب للبيضاوي أمران:

أولهما: التنبيه إلى الالتفات في هذا الموطن، وإن لم يصرح بلفظه، مع بيان سره، وهو ما لم يتعرض له الزمخشري.

ثانيهما: دقة العبارة مع الإيجاز، إذ يقول في بيان سر الالتفات: "إن الله لا يخلف الميعاد فإن الإلهية تتأفیه وللإشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب" وهي ما دار في فلكها أصحاب الحواشي بالشرح، والتوضيح.

(١) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ١٩٣/١.

(٢) ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي: حاشية القونوي ٣٥/٦.

(٣) ينظر: الزمخشري: الكشاف ٣٤/١.

فذكر الاسم الجليل ينبئ عن علة عدم الإخلاف، ويشعر بتعظيم الموعد به، وهو وقوع يوم الحساب إذ وعيد من اتصف بصفة الألوهية، وبجميع صفات الكمال لا يكون إلا كذلك، فلو لم يلون الخطاب ؛ لفاتت هذه اللطائف.

والسر في ذكر الاسم الجليل هنا دون ذكره في آخر السورة: "إنك لا تخلف الميعاد" [سورة آل عمران آية ١٩٤] ؛ لأن المقام هنا مقام الاعتراف بأن الإلهية تقتضي الحشر والنشر ؛ لينتقم للمظلومين من الظالمين، فكان المقام مقام هيبة، وعظمة، وجلال، فاقضى ذلك أن يذكر - تعالى - بأجل أسمائه بخلاف قوله آخر السورة، فإن المقام هناك مقام طلب العبد من ربه أن ينعم عليه من فضله، وأن يتجاوز عن سيئاته، فكان المقام مقام التعطف والالتجاء لا مقام الهيبة والجلال ؛ فلذلك قال في آخر السورة: "إنك لا تخلف الميعاد"^(١).

المبحث الثاني: التعبير بالالتفات

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

[سورة البقرة الآية ٢١]

بيان الالتفات: التفت في قوله تعالى: "يا أيها الناس" من الغيبة (الاسم الظاهر) إلى الخطاب في قوله: "اعبدوا".

(١) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٦٠٧/١ .

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم محمد (الالتفات نموذجاً)

يقول الزمخشري: "لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم، وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها، ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور عند قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين)، وهو فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما: إن فلانا من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك، نبهته بالفتاتك نحوه فضل تنبيهه، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة، وهكذا الافتتان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الأذان للاستماع، ويستنهش الأنف للقبول" (١).

ويقول البيضاوي: "لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات؛ هزاً للسامع، وتنشيطاً له، واهتماماً بأمر العبادة، وتفضيماً لشأنها، وجبراً لكلفة العبادة بلذة المخاطبة" (٢).

مما يلحظ في بيان سر الالتفات عند الزمخشري أنه أطال، وشرح، وفصل، وضرب مثالا لما يحدثه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وما ذكره هو في معظمه بيان لفائدة الالتفات العامة، دون تعريج للسر الخاص، فذكر من فوائد الالتفات العامة: جزالة فن الالتفات بوجه عام، وفيه هز وتنبيه وتحريك للسامع، واستدعاء للإصغاء لما

(1) ينظر: الزمخشري: الكشاف ١/١٠٥.

(2) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ١/٤٥.

يلقى إليه، واستفتاح للأذان للاستماع، والأنفس للقبول، وجل ما ذكر هو بيان للفائدة العامة دون ذكر لفائدة الالتفات الخاصة.

أما عبارة البيضاوي وهنا كانت أكثر دقة، وأشد تركيزاً، فجمع بين السر العام، والسر الخاص في أوجز عبارة، وأبلغ تعبير، ولذا يقول أحد الباحثين في بلاغة البيضاوي: "ونراه - أحيانا - يمزج بين الغرض العام للالتفات، والغرض الخاص في المقام الذي ورد فيه" ^(١)، كما نلاحظ ذكر مصطلح الالتفات صراحة في هذا المقام.

فذكر للالتفات نكات بعضها عام، والآخر خاص بالمقام والسياق: فمن النكات العامة: ما يحدثه الالتفات من هز للسامع، وتنشيط له، "، أي تحريكاً له، وجعله ذا نشاط لإصغاء ما يلقي إليه من الكلام، وقبوله، فإنه لاشك أن العدول إلى خلاف مقتضى الظاهر، ونقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر يحدث نشاطاً جديداً للسامع، ويوقظه إيقاظاً تاماً لإصغاء ذلك الكلام" ^(٢).

ومن النكات الخاصة بالسياق والمقام: الاهتمام بأمر العبادة، والتفخيم لشأنها، وجبراً لكلفة العبادة بلذة المخاطبة، ولي هنا وقفان: أولهما: بيان كيف أفاد الخطاب الاهتمام بأمر العبادة، والتفخيم لشأنها، وذلك لأن العظيم إذا أقبل على عبيده في شأن، وأمر به بنفسه دلّ على عظمة ذلك الشأن، وأن الأمور المهمة حقها أن يؤمر بها مواجهة، من غير واسطة.

ثانيهما: لسائل أن يسأل: كيف جبر الخطاب كلفة ومشقة العبادة ؟

(1) ينظر: عبد التواب: الاتجاه البلاغي في تفسير البيضاوي محمد لطفي عبد التواب ص ١٨٤، مطبعة السعادة، القاهرة، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(2) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ١٧٦/١.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل) ملفض أم مجدّد (الالتفات نموذجاً)

إن العبادة المأمور بها فيها كلفة، ومشقة؛ لكونها خلاف مقتضى الطبيعة، ثم إن الحق - سبحانه وتعالى - لما أمر بها بنفسه خاطبهم من غير واسطة، فقد شرفهم بشرف المكاملة معهم، ولا شك أن هذا التشريف العظيم القدر يكون جبراً للمشقة المتفرعة على التكليف بالعبادة، وتخفيفاً لها^(١).

ونظير الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [سورة البقرة الآيتان ٢٧، ٢٨]

بيان الالتفات: في الآيتين التفات من الغيبة في قوله: "أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" إلى الخطاب في قوله: "كيف تكفرون".

يقول البيضاوي: "والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال، خاطبهم على طريقة الالتفات، ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك، والمعنى أخبروني على أي حال تكفرون"^(٢).

الالتفات في هذه الآية لم يشر إليه الزمخشري، ولذا يحسب للبيضاوي ذكره هذا الالتفات؛ ليجمع بين أثر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في مقام الشاء كما مر في آية البقرة ٢١، وأثره في مقام الذم والسخرية في هذه الآية.

(١) ينظر: زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ١٧٦/١، الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣/٢.

(٢) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ٥٨/١.

وسر الالتفات عند البيضاوي يرجع إلى التوبيخ ؛ لأن التوبيخ والإنكار إذا توجهتا إلى المخاطب كان أبلغ من الإنكار على الغائب ؛ لأن الإنكار عليه ربما لا يصل إليه ، فإنه - تعالى - لما وصفهم بالكفر في قوله: "وأما الذين كفروا" ، وبسوء المقال في قوله: "فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا" ، وبخبث الفعال من النقض ، والقطع ، والفساد ، اقتضى المقام أن يبالغ في توبيخهم ، والإنكار علي سوء صنيعهم ، فخاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم (١).

وهذا النوع من الالتفات دقيق المسلك لا يفتن إليه الكثيرون ، وهو ما حدا بالشيخ الطاهر ابن عاشور إلى إنكاره بقوله: "وليس في قوله: "كيف تكفرون بالله" تناسب مع قوله: "إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما" [البقرة: ٢٦] وما بعده مما حكى عن الذين كفروا في قولهم: "ماذا أراد الله بهذا مثلا" [البقرة: ٢٦] حتى يكون الانتقال إلى الخطاب في قوله: تكفرون التفاتا ، فالمناسبة بين موقع هاته الآية وما قبلها هي مناسبة اتحاد الغرض ، بعد استيفاء ما تخلل واعترض" (٢).

وقول الشيخ الطاهر: "وليس في قوله: "كيف تكفرون بالله" تناسب مع قوله: "إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما" فيه نظر ؛ لأن المناسبة ظاهرة جليلة ، فما سبق تعداد "لقبائهم المستدعية لمزيد سخطه تعالى عليهم" (٣) ، ولقد كفانا العلامة البقاعي بيان وجه المناسبة بقوله: "ولما دعا سبحانه إلى التوحيد ، ودل عليه ، وأنذر من

(١) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٢٣٠/١ بتصرف.

(٢) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧٢/١ ، ط الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ م.

(٣) ينظر: الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢١٤/١ ، ت: علي عبد الباري عطية، ط دار

الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤١٥ هـ.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم مجدّد (الالتفات نموذجاً)

أعرض، وبشر من أقبل، وذكر حال الفريقين في قبول الأدلة... التفت إلى تبيكيت المدير لعله يستبصر،... وما أبدع افتتاح ذلك عقب «الخاسرين» بقوله على طريق التفات المغضب المستعطف المعجب! {كيف} ^(١).

ويجوز ألا يكون في الآية التفات، ومبنى ذلك على التأويل، قيل إن الله لا يخاطب الذين كفروا في القرآن العظيم إلا بذكر (قل) لفظاً كما في قوله تعالى: "قل يا أيها الكافرون" لسورة الكافرون الآية ١، أو تقديرًا كما في هذه الآية، فإن التقدير: قل لهم يا أيها الكافرون كيف تكفرون، فيكون الخطاب في أمثالها مع رسول الله ﷺ لا مع الكفرة، وعليه فلا التفات ^(٢)، والحمل على الالتفات أولى من التقدير.

من الالتفاتات التي اتفق فيها البيضاوي مع الزمخشري دون زيادة أو نقصان، في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ) [سورة البقرة الآية ٨٣]

بيان الالتفات في الآية التفات من الغيبة في قوله: "أخذنا ميثاق بني إسرائيل" حيث عبر عن بني إسرائيل بلفظ المظهر، والأسماء المظهرة في حكم الغيبة، إلى الخطاب في قوله: "ثم توليتم".

(1) ينظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢١٢/١، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(2) ينظر: شيخ زادة: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٢٣٠/١ بتصرف.

يقول الزمخشري: "ثم توليتم على طريقة الالتفات أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه"^(١)

ويقول البيضاوي: "ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الْاَلْتِفَاتِ، وَلَعَلَّ الْخُطَابَ مَعَ الْمَوْجُودِينَ مِنْهُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَنْ قَبْلَهُمْ عَلَى التَّغْلِيبِ، أَيْ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْمِيثَاقِ وَرَفَضْتُمُوهُ"^(٢).

والسبب في ذكر هذا الالتفات هنا أن البيضاوي أخذ ما ذكره الزمخشري دون مناقشة أو بيان، على الرغم من أن الالتفات هنا يحتاج إلى تأويل وحسن فهم، وإن كان يحسب للبيضاوي بيان أن الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب.

ولسائل أن يسأل كيف ينتقل إلى الخطاب في قوله: "ثم توليتم" مع أن ما قبله خطاب: "لا تعبدون - وقولوا - وأقيموا - وآتوا"، فلا يكون توليتم من الالتفات ؛ لأن شرط الالتفات اختلاف طرق التعبير ولا اختلاف هنا ؟

والجواب على ذلك بأن الخطابات المتقدمة إنما هي على طريق حكاية ما قيل لهم عند أخذ الميثاق لا عند الإخبار للنبي ﷺ بما جرى من القصة الماضية بخلاف الخطاب في توليتم، فإنه عند الإخبار له ﷺ بأخذ ميثاقهم، وتلك الخطابات المتقدمة داخلة في حيز القول المدلول عليه بقوله: "أخذنا ميثاقهم" لأن أخذ الميثاق في حيز القول^(٣).

(1) ينظر: الزمخشري: الكشاف ١/ ١٧٠.

(2) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ٩٢/١.

(3) ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي: حاشية القنوي ٤٦٨/٧.

وهو ما دفع الشيخ الطاهر إلى إنكار الالتفات إذ يقول: "وقوله: ثم توليتم إلا قليلاً منكم خطاب للحاضرين وليس بالالتفات" ^(١).

والذي يظهر لي - والله أعلم - أنه إذا أريد بالخطاب في قوله: "ثم توليتم" من أخذ عليهم الميثاق فإن الالتفات يكون من الغيبة في بني إسرائيل إلى الخطاب في توليتم، وما ذكر بلفظ الخطاب بينهما من قبيل إرادة القول، بدليل قوله تعالى: "وقولوا للناس"، وحمل الخطاب في توليتم على المتقدمين أولى، وهو ما يتناسب مع المنهج القرآني في الدعوة، ومعاملة أهل الملل الأخرى، يأتي لهم على سبيل التعريض، لعلهم يؤمنون، قال تعالى: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [سورة سبأ الآية ٢٤] لعلهم يقبلون، ولا يعرضون.

ويكون سر الالتفات ههنا "التعنيف والتوبيخ كأنه استحضرتهم ووبخهم وتم الاستبعاد" ^(٢) وفيه تعريض بمن تولى عن النبي ﷺ رغم وضوح الحجة والبرهان.

ويجوز أن يحمل قوله: "لا تعبدون" على البدلية، وأن يكون جواباً للقسم، فلا يكون في حيز القول، فالظاهر حينئذ لا التفات، ويكون الالتفات في قوله لا تعبدون ^(٣)، ويرى السمين الحلبي بجواز أن يكون أراد بالالتفات الخروج من خطاب بني إسرائيل القدماء إلى خطاب الحاضرين في زمنه عليه الصلاة والسلام، ورده الشهاب والألوسي بكون الالتفات بين خطابين لاختلافهما لم يقل به أهل المعاني لكنه وقع مثله في كلام بعض الأدباء، وهذا غير الالتفات المصطلح عليه ^(٤).

(1) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ٥٤٨/١.

(2) ينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٩٤/٢.

(3) ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي: حاشية القنوي ٤٦٩/٧.

(4) ينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٩٤/٢، الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن

العظيم ٣٠٩/١.

والذي يظهر أن السمين نظر إلى المعنى اللغوي العام للالتفات، وهو العدول، ولعله ممن يوسعون دائرة الالتفات.

ونظير هذا الالتفات من جهة ذكر البيضاوي كلام الزمخشري دون زيادة عليه، قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [سورة البقرة الآية ٥٤].

الالتفات في القراءات القرآنية

وجه البيضاوي الالتفات من خلال القراءات القرآنية، في مواطن عدة من النظم الكريم، وبمراجعة جل هذه الآيات، ومنهج البيضاوي، والزمخشري، يتبين لنا أن منهج البيضاوي يسير في اتجاهين:

الاتجاه الأول: يذكر القراءة، ثم يذكر الالتفات دون توجيه، وهذا في معظم الآيات التي تعرض لذكر الالتفات فيها، وله مع الزمخشري حالتان:

الحالة الأولى: يقف الزمخشري عند ذكر القراءة دون ذكر الالتفات، ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) . [سورة التوبة آية ٧٧، ٧٨]

يقول البيضاوي: " ألم يعلموا أي المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات " ^(١).

(1) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ٥٢٨/١.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل) ملخص أم مجدّد (الالتفات نموذجاً)

فيحسب للبيضاوي ذكر الالتفات في القراءة ، وإن لم يبين سره ، وهو مالا نجده عند الزمخشري ، إذ يقف عند ذكر القراءة دون ذكر الالتفات ، فيقول في هذه الآية: "وقرئ... وألم تعلموا ، بالتاء عن علي رضي الله عنه" ^(١) ، ونظيره آية ٢٠ ، ٥٨ سورة غافر ، وآية ٨٥ سورة الزخرف.

الحالة الثانية: يتفق فيها البيضاوي مع الزمخشري في ذكر القراءة والنص على الالتفات دون بيان السر ، كما في قوله تعالى: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [سورة النور آية ٢٢] ، نجد الزمخشري والبيضاوي يقفان عند ذكر القراءة دون توجيهه: "وقرأ أبو حيوة وابن قطيب: أن تؤتوا ، بالتاء على الالتفات" ^(٢).

الاتجاه الثاني: يذكر البيضاوي الالتفات ، ويبين سره متفقاً في ذلك مع الزمخشري ، ولكن مع الإيجاز ، كما في قوله تعالى: "وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ اسْتَاقِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ" [سورة الشعراء آية ١٠ ، ١١]

يقول البيضاوي: "وقرئ (يتقون) بالتاء على الالتفات إليهم زجراً لهم وغضباً عليهم ، وهم وإن كانوا غيباً حينئذٍ أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأً إسماعهم ، مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده" ^(٣) ، وهو بذلك يذكر عبارة الكشف مع الإيجاز.

(١) ينظر: الزمخشري: الكشف ٢٩٣/٢.

(٢) ينظر: الزمخشري: الكشف ٢٢٢/٣ ، والبيضاوي: تفسير البيضاوي ١٥١/٢.

(٣) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ١٨٧/٢.

وقد يذكر الالتفات مع السر إجمالاً، كأن يقول والتفت للتهديد، كما في قوله تعالى: "وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهٗ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [سورة الزخرف آية ٨٥].

يقول البيضاوي: "وإليه يرجعون للجزاء، وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد"^(١) وذكر الزمخشري القراءة دون ذكر الالتفات.

والذي يظهر مما سبق أن البيضاوي لم يلخص ما ذكره الزمخشري، بل نص في مواطن كثيرة على الالتفات، بينما أغفله الزمخشري، وذكر السر إجمالاً في آية الزخرف في حين أن الزمخشري أغفل ذكر الالتفات، فمن أين لنا أن نقول أنه لخص، ونقف عند ذلك، بل أضاف وجدد، فليس الهدف من وراء ما كتب هو التلخيص، بل الهدف هو التفسير أولاً بعد إمعان النظر في كلام من سبقه من المفسرين، يستفيد اللاحق بالسابق، فالعلم رحم بين أهله.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين... وبعد فبعد هذه الرحلة المباركة مع تفسير البيضاوي، والتي لا تخلو من لذة، ومتعة؛ لأنها في كلام رب العالمين، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢)، يتبين أن الهدف الأساس من عمل البيضاوي هو التفسير، مستفيداً من أقوال السابقين مهتدياً، ومسترشداً، وملخصاً، ومضيفاً، ومجدداً، كما ذكر عن

(١) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ٤٤٨/٢، و الزمخشري: الكشاف ٢٦٧/٤.

(٢) سورة فصلت آية ٤٢.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم محمد (الالتفات نموذجاً)

نفسه في مقدمة كتابه: "وينطوي على نكات بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين..." (١)، فقدم ضمير المتكلم: "أنا"؛ لينبه من أول الأمر أن هذه النكات هي له في معظمها، وإن استفاد ممن سبقه، ولا أدري إغفال أكابر العلماء لمقدمة كتابه، واعتمادهم على ما ذكره في الخاتمة، وحمل السابق على اللاحق أولى، ولقد كان الذهبي أكثر إنصافاً حين قال: "كأنني به في هذه الجملة الأخيرة يشير إلى أنه اختصر من تفسير الكشاف، ولخص منه ضمن ما اختصره ولخصه من كتب التفسير الأخرى، غير أنه ترك ما فيه من نزعات الضلال وشطحات الاعتزال" (٢) مشيراً بذلك أن ليس عمل البيضاوي هو تلخيص الكشاف فقط، ويتبين ذلك من خلال المقارنة بين منهجه ومنهج الزمخشري في الالتفات، فنجد أنه يتبع الزمخشري في عبارة موجزة، وأحياناً يغفل ما ذكره الزمخشري، وأحياناً يذكر مواطن للالتفات لم يتعرض لها الزمخشري، بالإضافة لما فتح الله عليه من أسرار الالتفات التي لم يسبق إليها.

من أهم النتائج:

من مظاهر التجديد عند البيضاوي تنوع التعبير عن الالتفات بصيغ مختلفة؛ ليجمع بعض أسمائه التي ذكرها أكابر العلماء، فعبر عنه بالعدول، والتلوين، والالتفات.

(١) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي ١/١٣.

(٢) ينظر: الذهبي: التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي ١/٣٠١ ط: مكتبة وهبة، القاهرة.

دمج البيضاوي بلاغة الالتفات في بلاغة القصر، وكأنهما شيء واحد، وأرى أن هذا الدمج يحمد له، لأن الالتفات يقوي القصر ويرشحه. جعل البيضاوي من فوائد الالتفات الترقى في تأكيد المعنى كما في سورة الفاتحة.

جمع البيضاوي بين أثر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في مقام الشاء، والارتقاء [آية البقرة ٢١]، وفي مقام الذم والسخرية [آية البقرة ٢٨]. البيضاوي ليس من العلماء الذين يهتمون بتقرير القواعد البلاغية، وتوضيح الأقسام، إنما يعرض للمسائل البلاغية من خلال التفسير مبينا استدعاء المقام لها، وأثرها في النظم الكريم وما تفيض به من معان وتهدف إليه من أسرار، وإن شئت فقل: حاول في تفسيره تطبيق نظرية النظم. اهتمامه بتوجيه الالتفات في القراءات القرآنية، في مواطن مختلفة من النظم الكريم.

وفي النهاية يوصي الباحث بأهمية استخراج المسائل البلاغية من كتب التفسير، ووضع معجم تفصيلي لهذه المسائل في خاتمة هذه الكتب ليكون خير معين لطلاب العلم، وأن يكون بيان مناهج هؤلاء المفسرين معتمدا على إحصاء دقيق من خلال استقراء شامل لظاهرة أو أكثر حتى يكون الحكم دقيقا، كما يوصي الباحث بأهمية الدراسات التي تعنى بالدرس البلاغي الحديث، وكيف استفاد أصحاب هذه المناهج من دراسات القدماء، وإلى أي مدى يمكن توظيف مثل هذه الدراسات لخدمة اللغة العربية.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم مجدو (الالتفات نموذجاً)

وفي الختام لا أملك إلا أن أقول كما قال الجاحظ في رسالة (الترييع والتدوير):
 "فإن كنا أصبنا فالصواب أردنا، وإن أخطأنا فما ذاك عن فساد من الضمير، ولا قلة
 احتفال بالتقصير، فلعل طبيعة خانت، أو لعل عادة جذبت، أو لعل سهواً اعترض، أو
 لعل شغلا منع".

والفضل لله أولاً وآخراً، فإن خانني التوفيق فحسبي أنني حاولت، وأقول كما
 قال الله تعالى على لسان نبيه شعيب: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا
 بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [سورة هود آية ٨٨].

جدول لبعض مواضع الالتفات في تفسير البيضاوي

م	اسم السورة	رقم الآية	م	اسم السورة	رقم الآية
١	الفاتحة	٥	٢	البقرة	٢١
٣	البقرة	٢٨	٤	البقرة	٨٣
٥	آل عمران	٩	٦	النساء	٦٤
٧	الأنعام	٩٩	٨	الأنفال	١٢
٩	الأنفال	١٤	١٠	التوبة	٧٨
١١	يونس	٢٢	١٢	النحل	١
١٣	الإسراء	٦٣	١٤	مريم	٨٩
١٥	الحج	١٠	١٦	النور	٢٢
١٧	النور	٦٤	١٨	الفرقان	١٧
١٩	الشعراء	١١	٢٠	النمل	٩٠

م	اسم السورة	رقم الآية	م	اسم السورة	رقم الآية
٢١	الروم	١١	٢٢	الأحزاب	٥٠
٢٣	يس	٣٥	٢٤	غافر	٢٠
٢٥	غافر	٥٨	٢٦	غافر	٧٦
٢٧	الزخرف	٧٩	٢٨	الزخرف	٨٥
٢٩	القمر	٢٦	٣٠	التحريم	٤
٣١	التين	٧	٣٢	الأعلى	١٦
٣٣	العلق	٨			

ثبت المراجع

- ١- الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤١٥ هـ.
- ٢- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرياط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٣- البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت مجدي فتحي، وياسر أبو شادي - ط المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٤- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مكتبة المثنى - بغداد، ط: ١٩٤١ م.

- ٥- أبو حيان: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر - طبعة ثانية ١٩٨٣م وعلى هامشه النهر الماد من البحر.
- ٦- الخطيب: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٥٨م.
- ٧- الخفاجي: الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمّاة: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، ط: دار صادر - بيروت.
- ٨- الذهبي: محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ط: مكتبة وهبة، القاهرة.
- ٩- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس - - تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية.
- ١٠- الزمخشري: محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت محمد السعيد محمد، ط المكتبة التوفيقية، الأولى، القاهرة، ٢٠١٢م.
- ١١- أبو السعود: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٢- السكاكي: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ط: دار الكتب العلمية بيروت.

- ١٣- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
- ١٤- شداد: الدكتور حسن محمد عبد الهادي شداد، الإمام البيضاوي ومنهجه في التفسير، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة.
- ١٥- شيخ زادة: محيي الدين شيخ زادة، حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي، ط مكتبة الحقيقة، تركيا ١٩٩٨م.
- ١٦- صبرة: محمد حسنين صبره، مرجع الضمير في القرآن الكريم - دار غريب ٢٠٠١م.
- ١٧- ابن عاشور: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤م.
- ١٨- عبد التواب: محمد لطفي عبد التواب، الاتجاه البلاغي في تفسير البيضاوي، مطبعة السعادة، القاهرة، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٩- العسكري: أبو هلال العسكري، الصناعتين - ط: الحلبي ١٩٧١م.
- ٢٠- عصام الدين: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي - ت عبد الله محمود محمد عمر، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢١- العلوي: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز - ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م.
- ٢٢- فيود: بسيوني فيود، علم المعاني، ط: مؤسسة المختار - الثالثة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

البيضاوي في تفسيره (أنواع التنزيل)، ملخص أم مجدو (الالتفات نموذجاً)

٢٣- ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية ت:

علي شيري ط: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٠٨ هـ، - ١٩٨٨.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.